صور الكلام
نَكْتُبُ القِصَصَ مَعَاً

مقترح في توظيف الدرامه كسياق للكتابة والكتابة القصصية من قبل الأطفال

وسيم الكردي

مقترح في توظيف الدرامه كسياق للكتابة والكتابة القصصية من قبل الأطفال
- للمعلمين كمساند للمنهاج
- للمشرفين التربويين على النشاطات المدرسية كنشاط لا صفي
- للمنشطين في مراكز الأطفال كنشاط برامجي

الأعمار: (12، و13، و14، و15، و16)

«أنا أبدأ بالحكاية. أنطلق من حالة أو حدوتة صغيرة أجد فيها شيئاً ما يشدني ... بالنسبة لي يجب أن تكون هذه الحدوتة ساحرة بشكل كبير، لأنها هي التي ستتيح لي عند المعالجة إمكانات واسعة لعمل الخيال، وتنمية المواقف وبلورة الأفكار».[1]

سعد الله ونوس- كاتب مسرحي- سوريا

قبل البداية - إضاءات

في أدب القَص

«الأدب، من حيث هو مادة لغوية، هو إنزياح عن الواقع. الواقع هو الموجودات المادية المنتجة والطبيعية. واللغة إشارات، تولد، لا فقط في علاقات الناس مع هذه الموجودات، بل أيضاً في العلاقات فيما بينهم» ... لقد ميز تودوروف في بنية العمل القصصي مستوى أول، هو مستوى القصة (كتاريخ)، أو كما نفضل أن نقول بالعربية كوقائع تخص هذا الكون التخيلي لعالم القصة ونتعرف إليها من خلاله. على هذا المستوى، يمكننا أن ننظر في المنطق الذي يحكم الأفعال، في نظام الحوافز الذي يدفع حركة الفعل، في الشخصيات وفي العلاقات في ما بينها. مستوى ثان، هو مستوى القصة كقول (discourse)؛ أي كلام واقعي (أي له وجوده المادي) يوجهه الراوي للقارئ. على هذا المستوى الثاني ننظر في زمن القص الذي هو زمن تخيلي يختلف عن الوقائع ويفارقه: زمن الوقائع متعدد الأبعاد يحمل في الوقت الواحد أحداثاً عدة. أما زمن القص، فهو زمن أحادي ينمو بالكلام في التوالي، إنه زمن انتظام الصياغة وتكونها في جمل تتوالى وترتصف مقيمة القول».

يمنى العيد[2]

في الفعل الدرامي

«الفعل الدرامي هو محصلة أفعال الشخصيات وتطور الأحداث التي تتم على الخشبة وخارجها. وهو بذلك يشكل ديناميكية معينة لأنه انتقال من وضع إلى آخر من بداية المسرحية إلى نهايتها، ترجمت إلى العربية على أنها حدث وعمل وأداء وموضوع وفعل. ومع أن كلمة حدث أوضح لأنها تتعلق بما يحدث، وقد درج استعمالها عند التطرق إلى الوحدات الثلاث، ومن بينها وحدة الحدث، إلا أن كلمة الفعل أكثر دقة وشمولية؛ لأنها تدل على ما يتأتى عن انتظام قوى فاعلة في مواقع متغيرة ترسم مسار المسرحية، وهذا ما يبرز تسمية نموذج القوى الفاعلة التي يتم اشتقاقها في اللغات الأجنبية والعربية من الجذر نفس (فعل)، ويعتبر هذا النموذج أفضل مُعبر عن مسار الفعل الدرامي في المسرحية».

«من الصفات الأساسية للفعل الدرامي كونه ديناميكياً. فهو في صيرورته يصوغ التسلسل المنطقي والزمني لمختلف المواقف التي تنتقل من وضع مستقر إلى خرق لهذا الوضع عبر تطور الحكاية من بداية إلى نهاية ... الفعل الدرامي لا يتجلى بالضرورة في أفعال الشخصيات على الخشبة فقط، إذ يمكن أن يكون الكلام بديلاً عن الفعل، ... (أن تتكلم يعني أن تفعل) ...».

المعجم المسرح[3]

حول البرنامج

ما البرنامج المقترح؟

هذا البرنامج المقترح الذي أضعه بين أيديكم، هو ثمرة تجربة قمت بتنفيذها مع أطفال تتراوح أعمارهم ما بين سن العاشرة والرابعة عشرة قبل اربع سنوات، وقد ساهم الفنان محمد عموس فيها عبر إشرافه على الجزء الخاص بالرسومات. لقد حاول هذا المشروع أن يعمل على خلق مناخات تساعد الأطفال على التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم، فهم يمارسون الدرامه والكتابة في إطار من التفاعل فيما بينهم. فالفكرة الأساسية لهذا البرنامج هي أن يكتب الأطفال، أن يمارسوا الكتابة دون أن تلاحقهم المعايير الجاهزة، أو مقاييس الصواب والخطأ التي تسقط عليهم من الأعلى، بل هم يجربون ويجربون ويتعلمون من خبراتهم الجديدة ومن أخطائهم. يتعلمون من بعضهم عبر تفاعلهم في إنتاج المعنى، سواء أكان ذلك في مجال المسائل الوجودية الكبرى أم التفاصيل الصغيرة. ونحن هنا لا ولن نحاكم تعبيراتهم بناء على معاييرنا اللغوية أو الفنية، إن تعبيراتهم التي ينتجونها لا ينتجونها من أجل تقييمها كأعمال فنية إبداعية ضمن مواصفات ومواضعات نقدية جاهزة في أذهاننا، وفي تجاربنا ككبار (لست هنا في معرض الاعتراض على التقييم بحد ذاته، فهو قد يكون في مجال آخر غير هذا الذي أقدمه في هذا التصور). إن أهمية هذه التجربة يكمن في سياقها الفعلي/العملي، وليس في الإنتاج التعبيري الذي ينجزه الأطفال خلال التجربة نفسها أو في نهايتها.

فالمهم أن يكتب الأطفال، وأن يعبروا عن أنفسهم، وأن يتخلوا شيئاً فشيئاً عن الإنشاء التقليدي الذي تمارسه المدرسة عموماً عليهم. نحاول من خلال هذا البرنامج أن نوفر لهم مناخات لأن يلجوا إلى عوالم جديدة، وتكوينات متنوعة، تفسح لهم المجال في أن يتأملوا ويستكشفوا ويحللوا ويعيدوا بناء عوالم الواقع والخيال، وأن يتفاعلوا مع بعضهم البعض في الأفكار والمشاعر عبر الاستماع، والحوار، والنقد، والتحليل، والمراجعة، والتقييم، وبناء المواقف والأحكام. يتم ذلك كله من خلال عمليات الاستكشاف الذاتي والجماعي، والتعبير عن المواقف في سياق ينتقل من عالم الواقع إلى عالم الخيال، ليعود إلى عالم الواقع، ولكن برؤى جديدة ... وهكذا.

ليس الهدف النهائي من البرنامج أن يصبح الأطفال قادرين على كتابة القصة أو على أن يكتبوا قصة محددة في نهاية المطاف، ربما هذه فوائد قد تتحقق في سياق عملية التعلم التي نقوم بها في سياقها الكلي، ولكن الهدف الأعمق هو تحقيق تعلم متنوع واستكشافي عبر عالم القصة الخيالي، ومقاربة هذا المتخيل بالعالم الواقعي الحقيقي، فيعمل على إثارة الأسئلة التي لم تثر، أو الأسئلة التي كادت تظهر في الطفولة الأولى ثم قمعت، ولم تعد ممكنة الظهور ثانية في إطار قيم تربوية لا تأخذ حساسيتهم وقدراتهم وخبراتهم بعين الاعتبار.

موقع البرنامج من سياق كلي

من خلال تجاربي مع المعلمين والأطفال في العمل في مجالي الدراما والكتابة كمجالين منفصلين أو كمجالين متداخلين، أستطيع القول إن المعلمين يحتاجون إلى برنامج تطبيقي ذي أهداف محددة ومباشرة، ليشكل بدوره أرضية انطلاق لعمل أكثر تعمقاً في مجالي الدراما والكتابة كسياقين للتعليم والتعلم من جهة، وكفنين قائمين بحد ذاتهما من ناحية ثانية. ولذلك، فإن هذا البرنامج لا يشتمل على المنطلقات الفكرية والمعرفية لهذا التوجه، كما أنه لا يقوم باستعراض تفصيلي لطبيعة الدراما ومكوناتها وأعرافها (التي أستخدمها عادة في برامج تدريب المعلمين)؛ لأن ذلك قد يحدث التباساً لدى ممارسي الدراما ما بين تأصيلاتها النظرية وعناصرها وأعرافها وما بين تطبيقاتها. وعليه، فقد اخترت أن يكون هذا البرنامج مادة تجريبية تفتح فضاءات، وتنتج أسئلة، وبخاصة أنني عاكف هذه الأيام على إنتاج كتاب متكامل حول الدراما كسياق تعلمي، ولذلك فإن هذا المقترح، وبصور عديدة، يؤسس للدخول في مغامرة استكشاف إمكانات الدراما بعناصرها وأعرافها وسياقاتها في تحقيق تعلم من طراز مختلف.

من يقوم بتنفيذ البرنامج؟

إن هذا البرنامج لا يحتاج إلى متخصصين لتطبيقه، فهو يعتمد أساساً على توافر المقومات الأولية الأساسية التالية للشخص الذي يرغب في تجريبه:

أولاً: الرغبة الشخصية.

ثانياً: الاهتمام بالثقافة والفن بوجه عام وتقديرهما.

ثالثاً: الاقتناع بجدواه، وبالقيمة التي يمكن أن يحققها له، وللمشاركين من الأطفال.

رابعاً: قراءة هذا البرنامج قراءة نقدية، تتيح له أن يضع بصماته الشخصية عليه.

خامساً: الاقتناع بأن كل الأطفال يمكنهم المرور بتجربة من هذا النوع، فلا يُميَز بينهم تحت سطوة المعايير السائدة.

سادساً: الاقتناع بأن الخيال محفز للنمو الذاتي، وقادر على خلق مساحات الإبداع لدى الأطفال.

يمكن الإفادة من هذا البرنامج من قبل:

– معلمي الموضوعات التي تشتمل عليها العلوم الإنسانية، واللغات، والعلوم الاجتماعية والفنون وبخاصة الدرامه[4] والرسم.

– مشرفي النشاطات اللاصفية في المدارس.

– منشطي الأندية والمخيمات الصيفية وتجمعات الأطفال.

مع من ينفذ البرنامج؟

يمكن تنفيذه مع:

- طلبة الصفوف في المدارس.
- الأطفال في المخيمات الصيفية والأندية والمراكز الثقافية.
- مجموعات منتقاة من الأطفال لديها الرغبة في تعميق خبراتها في التعبير الدرامي والكتابي.

أين يمكن تنفيذ البرنامج؟
- في حجرة الصف.
- في قاعة المسرح.
- في صالة الرياضة.
- في غرفة عادية.
- في ساحة مفتوحة.

متى يمكن تنفيذه البرنامج؟
1- يمكن تنفيذه خلال العام الدراسي:
- الحصص المدرسية[5] لكي يكون مسانداً للمنهاج.
- في حصص التعبير.
- في حصص الفن.

2- ويمكن تنفيذه بعد الدوام المدرسي كنشاط لا صفي.
3- في العطل الأسبوعية والفصلية والسنوية.

كيف يمكن تنفيذ البرنامج؟
إن هذا التصور يضع سياقاً للعمل مع الأطفال في مجالي الدرامه والكتابة، وهذا السياق مرن بدرجة كافية، ومنفتح على إمكانات تغييره وتطويره والتعديل فيه. كما يمكن تطويعه كلياً أو جزئياً من أجل الدخول في تجارب تربوية تعلمية في حقول معرفية ومهارتية متنوعة، كأن يطوع لموضوعات التاريخ والعلوم الاجتماعية، أو أن يطوع لدروس اللغتين العربية والإنجليزية، أو الفنون. كما يمكن الإفادة منه في إفساح المجال أمام الأطفال للتعبير باللغة وبالجسد.

إن هذا البرنامج ليس مُلزِماً لمن يرغب في الإفادة منه في أن يطبقه بشكل حرفي، بل يمكن أن يشكل مادة ملهمة لابتكار تصورات أخرى تكون غايتها الأساسية إدخال الأطفال في تجارب تعبيرية متنوعة، مبنية على اللغة والفن في سياقهما الاجتماعي التاريخي. كما يمكن تطويع هذا البرنامج ليتناسب مع الفئات العمرية المختلفة، ومقدراتهم المعرفية ومهاراتهم وخبراتهم. فما يثيره من قضايا وأسئلة وتساؤلات وتحديات هي، في جوهرها، قضايا الوجود الإنساني، وبالتالي فإن تعبيره عنها وموقفه منها يعتمد بدرجة أساسية على خبراته ومواقفه وتفاعلاته ورؤاه، ولذلك فإن مواجهتها قد يثير التساؤل دوماً بغض النظر عن التجربة أو المعرفة أو المهارة. الأهم في تجارب من هذا النوع هو السياق الذي توضع فيه، الانتقال بها من المجسد إلى المجرد، ومن المجرد إلى المجسد، وهذا التجسيد لا يمكن تحققه إلا في سياق، يتضمن:
- هويات الأفراد والجماعات وعلاقاتهم وتجاربهم وتراكم خبراتهم.
- الأفعال التي تحدث والمواقف والتصرفات والسلوكيات ودوافعها ومبرراتها.
- الزمن الذي تجري فيه الأفعال.
- الأمكنة والفضاءات التي تتفاعل فيها هذه الأفعال.
- الكيفية التي يعبر بها من قبل الأفراد والجماعات في علاقتها بهذه الأفعال.

ما قبل التنفيذ

من المفيد للمشرف[6] الذي سينظّم نشاطات متصلة بهذا المقترح أن يقوم بخطوتين أساسيتين قبل الشروع في البرنامج:

1- أن يقرأ عدداً من القصص القصيرة المتنوعة في بنيتها واتجاهها الفني.

2- أن يقرأ بعض الدراسات البسيطة التي تهتم بتحليل القصص وعناصر تكوينها بما تشتمل عليه من (شخصيات، وعلاقات، وأزمات، وسرد، ووصف، وحوار ...).

الأهداف:
- تشجيع الطلبة على استخدام لغتهم العربية؛ قراءة وكلاماً.
- تشجيع التعبير الذاتي وتطوير مهارات الكتابة بوجه عام، وفي مجال القصة بوجه خاص.
- استكشاف أولي لمكونات القصص وطبيعتها، وشكلها وإخراجها الفني.
- تطوير القدرة على بناء وجهة النظر الفردية والجمعية.
- تسليط الضوء على الدرامه (ماهيتها، دورها...)، وبخاصة الحوار.
- تشجيع التحليل والتأويل.
- تشجيع ملكة الخيال.
- الارتقاء بالأسئلة، وتطوير القدرة على بنائها.
- تشجيع التعاون والعمل الجماعي.
- تشجيع المشاركة، والتباحث، والاستماع ... .
- التفكير في معاني الهوية والانتماء، وكذلك مناقشة الفطري والاجتماعي وأثرهما على تكوين الشخصية الإنسانية وتحديد مصيرها.
- الحث على المقارنة والنقد وتحديد المواقف.

التطبيقات العملية

إن سلسلة النشاطات التالية يمكن تعميقها أو تبسيطها بناء على غايات المعلم من ناحية، وبناء على مستوى مجموعة المشاركين من ناحية أخرى، وهنا يتحدد نوع المساهمة التي سيقوم بها المشرف[7] الذي يقود الأنشطة ويوجهها ويتابعها. ومن المفيد التنبيه، هنا، أن هذه الأنشطة تحتاج إلى تسلسل في تطبيقها وتمهل في إنجازها، فجوهر الاقتراح مبني على الخبرات التي تتحقق خلال تطبيق النشاطات، وليس فقط نتائج كل نشاط.

اختلاف السياق ... اختلاف المعنى

النشاط 1	قصة الزوجة الفقمة
الهدف	استكشاف أولي لعالم النص القصصي بناء وجهة النظر عبر اقتراح نهاية للقصة
تهيئة	**القماشة على الأرض** 1- يهيئ المشرف مسبقاً قطعة قماش كبيرة جداً، بحيث يمكن للمجموعة المشاركة أن تتحلق حولها. (4م x 4م) مثلاً،هذا يعتمد على عدد الأطفال المشاركين. 2- يوزع المشرف على مجموعة الأطفال قصاصات ورقية وألواناً، «هذه الأوراق والأقلام التي سأوزعها عليكم سنحتاجها بعد قليل». 3- هنا على هذه القماشة المفرودة على الأرض سنعمل على بناء قرية صغيرة، هذه القرية تقع على شاطئ البحر، سنستعمل قصاصات الورق التي معنا في بناء هذه القرية، ليرسم كل منكم بيتاً أو شجرة، بستاناً، أو حقلاً، أو أي شيء يمكن له أن يكون موجوداً في قرية صغيرة تقع قرب شاطئ البحر. 4- بعد أن يبني الأطفال عالماً للقرية: الجغرافيا والناس والأشياء وربما بعض العلاقات الإنسانية، ومصادر الرزق، وطبيعة الحياة ... الخ. ***إن تقليص هذه الفكرة أو تطويرها يعتمد على طبيعة الأهداف التربوية والمعرفية التي يهتم المشرف بتعميق خبرة الأطفال فيها.*** يطلب المشرف من الأطفال أن ينظروا بتعمق إلى المشهد البصري الذي كونوه أمامهم على الأرض، وبعد لحظات من الصمت والتأمل من قبل الأطفال: يبدأ بالقول: **«وهنا في هذا المكان بالضبط كان يقع كوخ الصياد الذي سأروي لكم حكايته» ويبدأ بسرد القصة التالية:**
الخطوات	أولاً: سرد حكاية[8] دون ذكر اسمها. **«يحكى أنَّ صياداً شاباً كان يسيرُ عند شاطئ البحر، وفجأةً ظهرتْ أمامَه على صخرةٍ وسط الماء فتاةٌ رائعةُ الجمال، لم يرَ في حياتِه جمالاً كجمالِها، كان وجهُها يشعُّ نوراً، وابتسامتُها لا تفارقُ شفتيها، تسللٌ بهدوءٍ شديد، واختبأ خلف صخرة على الشاطئ، وأخذ يراقبها، تناولت مشطاً، وأخذت تمشط شعرها الطويل.. بعد وقت قصير ... التقطت الفتاة رداءها، لفته على جسدها، وغاصت في الماء، لقد أصبحت فقمة.** **وفي الليلة التالية، وبينما كان الصياد يمشي عند الشاطئ رأى الفتاة نفسها ثانية؛ تمشط شعرها ثم تتلفع بردائها، وتغوص في الماء.** **عاد الصياد في الليلة الثالثة ليرى المشهد نفسه، تسلل ببطء وهدوء شديدين مقترباً منها، وفي لحظة خاطفة التقط الرداء، قاسه على جسده، حينها فقدت الفتاة قوتها وقدرتها واستسلمت له وتبعته، سارت وراءه إلى كوخه الصغير، تزوج الصياد الفتاة، وقضياً معاً عدة سنوات أنجبا خلالها ثلاثة أطفال.** **بعد مرور سبعة أعوام، كان سقف الكوخِ بحاجةٍ إلى تغيير، فاستدعى الصياد عاملاً ليزيلَ القشَ القديمَ ليضع مكانَه قشاً جديداً، وبينما كان الرجل منهمكاً في عمله؛ يلقي بالقش القديم من السقف إلى الأرض قذفَ معه جلدَ الفقمة، رأى الأطفالُ الجلدَ فحملوه راكضين إلى أمهم متسائلين عن هذا الشيءِ الغريبِ الذي يرونَه لأولِ مرة.** يتوقف المشرف عن القص عند هذه اللحظة الفاصلة، المثيرة، المشوقة. **المهمة الأولى:** يقسم المشرف الأطفال إلى مجموعات، بحيث تتضمن كل مجموعة 4 مشاركين، ويطلب منهم العمل على إنجاز المهمة التالية: **1) تجسيد صورة ساكنة** «لاحظتم في القصة أن الأطفال حينما عثروا على الجلد الذي قذف به عامل القش، حملوه وركضوا به إلى أمهم. المطلوب قيام كل مجموعة باختيار لحظة من اللحظات التي تظهر هذا الموقف، بحيث يجسد كل واحد منكم شخصية من هذه الشخصيات الأربع (الأم وأطفالها) وعليكم أن تختصروا المشهد الدرامي إلى لحظة واحدة تتجمدون فيها في وضعياتكم مجسدين تلك اللحظة كما ترونها، عليكم الاهتمام بأن تكون تعبيرات وجوهكم، ووضعية أجسادكم معبرة عن المعاني التي تريدونها، وهذا يعني ضرورة الاهتمام بكل التفاصيل، كي تتمكنوا من عكس الفكرة التي تريدون التعبير عنها، لديكم الآن 5 دقائق لتجسيد هذه الصورة». الصورة الساكنة هي: قيام مشارك أو مجموعة مشاركين بتأليف (صورة ثابتة) بأجسادهم يعكسون فيها كلمة أو فكرة أو موقفاً أو حالة ... بحيث يشكلون صورة ثابتة كأنها (صورة فوتوغرافية)، أو كأنها لحظة توقيف الفيلم عند لحظة معينة. تتضمن الصورة الساكنة العناصر التالية (الزمان، المكان، الأشخاص المشاركون، الفعل الذي يحدث)، ويمكن تجسيد هذه اللحظة التي يتم اختيارها عبر، أيضاً، تحديد السياق الذي جرت فيه هذه اللحظة، كأن يتم تحديد: ما الذي حدث قبل هذه اللحظة؟ بمعنى آخر: ما الذي أفضى إلى هذه اللحظة؟ كما يمكن تحديد ما الذي يمكن أن يحدث بعدها؟ إن ذلك يساعد في بناء اللحظة بشكل أكثر

	وضوحاً وأكثر تحديداً. ويساهم في تشكيل بنية رمزية فنية تدخل بالمنتج إلى عالم الإبداع. بعد أن ينتهي الجميع من تصميم صورهم التي ابتكروها، يعد المشرف من واحد إلى ثلاثة، بحيث تقوم المجموعات جميعها بتجسيد تلك اللحظة في وقت واحد (واحد، اثنان، ثلاثة) ثم يطلب منهم التحرر من لحظة السكون هذه. **2) عرض الصور الساكنة** يطلب المشرف من كل مجموعة من المجموعات (بالتتالي) أن تعرض صورتها التي أنجزتها في وضعية يتسنى فيها لبقية الأطفال مشاهدتها. **3) مناقشة الصور** يطلب المشرف من المشاهدين تقديم تعليقاتهم وانطباعاتهم حول كل صورة من الصور التي عرضت، بعد الانتهاء من عروض جميع المجموعات يدير المشرف حواراً عاماً، يتركز حول: ما الذي شاهدتموه في الصور؟ ما هي الأفكار التي تم تجسيدها؟ كيف عبرت كل مجموعة عن فكرتها؟ ما هي الأفكار التي يمكن لكم أن تقدموها لكل مجموعة كي تعمق فكرتها وصورتها. **المهمة الثانية** **1) كيف تنتهي القصة؟** يطلب المشرف من كل مجموعة أن تتحاور في قصة (الزوجة الفقمة) بحيث تقترح كل مجموعة مشهدا ختاميا للقصة. من المفيد التنبيه هنا إلى أن النهاية المقترحة من كل مجموعة يجب أن تعبر عن أفكار المجموعة، كأنهم هم الذي يكتبون هذه القصة، وهم الذين يبتكرون نهايتها. **2) استعراض النهايات المقترحة** تعرض المجموعات النهايات المقترحة من قبلها، وينفتح باب النقاش حول هذه النهايات، وبخاصة فيما يتعلق بمنطلقات كل اقتراح: لماذا هذه النهاية؟ هل تعتقدون أن هذه هي النهاية الأفضل للقصة؟ ما رأيكم في النهايات المقترحة من قبل المجموعات الأخرى؟... الخ من الأسئلة التي تثري قدرتهم على بناء موقف لديهم مبررات له. **3) كتابة النهايات** يطلب المشرف من المشاركين أن يقوم كل مشارك منهم بكتابة النهاية التي يريدها (بشكل فردي) وليس مهما أن يغير في النهاية التي أنجزها مع زملائه في المجموعة أو أن يتبنى نهاية أخرى من تلك النهايات التي عرضت أمامه.
بدائل	– يمكن للمشرف أن لا يتوقف عند منعطف ما من منعطفات القصة الحاسمة، ربما يرغب في إكمالها حتى نهايتها، وبخاصة إذا ما كان المشاركون يعرفون القصة مسبقاً، وهنا يتطلب الأمر من المشرف أن يعيد تشكيل الأنشطة التي تلي بما يتلاءم مع هذا التغيير. كأن يطلب من الأطفال أن يقدموا اقتراحات أخرى لنهاية القصة تختلف عن النهاية الأصلية. ثم يعرضون هذه النهايات ويوازنون فيما بينها. – كما يمكن التوقف عند حدث ما من أحداث القصة، ثم يطلب من الأطفال تجسيد الحدث التالي، وهكذا ... بحيث يتحاورون في تقديم تصورات لتوقعاتهم للحظة التالية، ومن ثم تجسيدها في صورة درامية ساكنة أو متحركة، وبعد ذلك يقومون بشكل فردي أو عبر مجموعات بكتابة هذه اللحظات ... وهكذا ... إلى أن تكتمل الحكاية.
إضاءة	إن هذا النشاط ضروري لتأسيس عالم القصة المكاني؛ فالمكان هو أحد المكونات الأساسية للقصة. تتكون القصة عادة من: سرد، وصف، حوار خارجي (ديالوج)، حوار داخلي (مونولوج)، حدث (أو أحداث)، شخصيات، تنبني جميعها عبر اللغة والتخيل، وقد تكون القصة تقليدية؛ فتبدأ بمقدمة ثم تتصاعد لتصل إلى ذروة، ثم تنفك عقدتها. وقد تطورت القصص في العالم، حيث لم تعد تلتزم دائماً بهذا الترتيب والتصاعد، فظهرت قصص تختلط فيها الأحداث والصور، تتقدم وتتراجع في الزمان، وتنتقل وتتغير في المكان. ولا تقوم بالضرورة على تسلسل المنطق الواقعي لأحداثها أو لأفعال شخصياتها. إن هذه التغيرات الكثيرة في عالم القصص من المفيد أخذها بعين الاعتبار، وليس فقط الشكل التقليدي المعروف لبناء القصة فقط.
إشارة	– ليس واجباً التوقف عن القص عند هذه اللحظة، حيث يمكن التوقف عند أية لحظة سابقة في الحكاية أو إكمالها تماماً، فهذا يعتمد على الغايات المبتغاة من لحظة التوقف (انظر البدائل أعلاه). استكمال الحكاية يتم بناء على اقتراح المجموعات، وبناء على رأيها ووجهة نظرها؛ فإنْ كنت أنت مؤلف الحكاية، فما النهاية التي تختارها؟ – يمكن استخدام ساحة المدرسة أو قاعة الرياضة مثلاً لتنفيذ هذا النشاط، وإذا لم يكن هذا ممكناً، فيمكن مثلاً استخدام ورق من الحجم الكبير وإلصاقه على السبورة، وتنفيذ النشاط عليه، أو يمكن أن يتم هذا النشاط عبر الرسم على السبورة مباشرة، من المفضل استخدام الألوان، يستطيع المشرف أن يطلب من مجموعات صغيرة من الأطفال أن تبادر إلى رسم معالم القرية بالتتالي.

	المواد والأدوات المستعملة قماشة كبيرة (أو ورق كبير بحجم ورق الجرائد، وربما من نوعه أيضاً) ألوان، قصاصات ورقية.
النشاط 2	**بناء الحوار**
الهدف	تجريب إمكانية بناء حوار بين شخصيتين لكل منها وجهة نظر مختلفة أو على علاقة مختلفة بالحدث في القصة.
إحماء	**حوار في حالة انتظار** – يقسم المشرف الأطفال إلى مجموعات ثنائية. – يضع المشرف السياق أمام المجموعة: «أنتما اثنان لا تعرفان بعضكما البعض، تتواجدان في استراحة المطار، تنتظران الطائرة نفسها، أنتما بحاجة للوصول إلى البلد الذي ستصله الطائرة في الموعد المحدد، ليختر كل منكما شخصيته، ولماذا هي مضطرة للسفر؟ ما غايتها من السفر». من المفيد التأكيد على أن شخصين لا يعرفان بعضهما البعض لا يسترسلان في الحوار كأنهما صديقان أو قريبان، سيبدأ الحوار بشكل تدريجي في سياق القلق والتوتر الذي سيبدأ بالظهور على الشخصيتين سواء بكلامهما أم بحركات جسديهما. – يأخذ المشرف دور موظف الاستعلامات الذي يعلن بواسطة مكبر الصوت تعليمات جديدة بين وقت وآخر: مثلا «نعتذر للمسافرين على الطائرة رقم (كذا) المتجهة إلى مدينة (كذا) بأن موعد إقلاع طائرتكم سيتأخر قليلاً بسبب تأخر وصول الطائرة لأسباب فنية»، ثم يبدأ بين لحظة وأخرى بتطوير لحظة التوتر، كأن يعلم المنتظرين بأن التأجيل سيستمر، ويأخذ الموظف بوضع مبررات لهذا التأجيل التي قد تصل إلى عدم إمكانية السفر بالطائرة هذا اليوم، وعليه فقد تقرر إنزال المسافرين في فندق المطار لليوم التالي.
الخطوات	1) يطلب المشرف من الأطفال أن يختارَ كل واحد منهم شريكاً له. فيصبح لدينا مجموعات ثنائية. 2) يقسم المجموعات الثنائية إلى مجموعتين (مجموعة أ ومجموعة ب). 3) يوزع المشرف المهمتين التاليتين على المجموعتين (أ) و (ب): **المهمة الأولى للمجموعة (أ):** أن يتخذ كل شريكين في المجموعة (أ) مكاناً لهما في الغرفة، بحيث يتقمص أحدهما دور الصياد، والآخر دور الزوجة الفقمة التي عادت إلى الماء. **المهمة الثانية للمجموعة (ب):** أن يتخذ كل شريكين في المجموعة (ب) مكاناً لهما في الغرفة، بحيث يتقمص أحدهما دور الصياد الزوج، والآخر دور الفقمة الزوجة التي قررت البقاء في الأسرة. 4) بعد أن ينتهي توزيع الأدوار، يلقي المشرف بالتعليمات التالية: المطلوب من كل شريكين أن يجسدا مشهداً درامياً للقاء يجري بين الشخصيتين، آخذين بعين الاعتبار ما يلي: أ– المكان الذي يمكن للشخصيتين أن تلتقيا فيه، والمسافة المكانية التي تفصلهما عن بعضهما البعض. ب– أن يبدع كل شريكين حواراً محتملاً يجري بين الشخصيتين بعد يوم واحد من اكتشاف الزوجة لجلدها. ت– بعد أن ينتهيا من إنجاز المشهد الدرامي، عليهما أن يختارا أكثر اللحظات قوة في المشهد، وأن يحولاها إلى صورة ساكنة. 5) يمنح المشرف الأطفال 10 دقائق لإنجاز المهمة. 6) بعد أن ينتهي الوقت المخصص لإنجاز المهمة، يطلب المشرف من الأطفال الانتباه إليه، وحينما يتأكد من انتباه الجميع، يقول: سأقوم بالعد إلى الرقم ثلاثة أو أربعة، وحينما أنتهي من العد، فعلى الجميع، معاً، تجسيد الصور الساكنة التي اختارها كل شريكين. 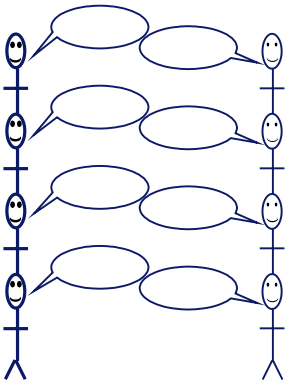 7) بعد أن يتأكد من أن الجميع قد أنجز مهمته، يطلب من الجميع الجلوس في دائرة مفتوحة أو العودة لأماكنهم، ثم يسأل عن إمكانية تطوع بعض الأزواج من المجموعتين لتجسد المشهد الدرامي الذي أنجزته. 8) يتم عرض المشاهد، ويفسح المشرف مجالاً أمام الأطفال ليعبروا عن آرائهم اتجاه المشاهد التي عرضت أمامهم. 9) يطلب المشرف من شريكين في كلتا المجموعتين بكتابة الحوار الذي ضمناه المشهد الدرامي على قطعة كبيرة من الورق على هيئة (الرسوم الكرتونية)، بحيث ترسم كل شخصية شخصيتَها، وتكتب حوارها داخل تخطيط مغلق كما في الرسم: 10) إذا ما سمح الوقت، يتيح المشرف لبعض المجموعات أن تقرأ الحوار الذي أنجزته.

بدائل	إذا ما كان عدد الأطفال الكلي فردياً، فمن الجيد هنا أن يشارك المشرف أحدَ الأطفال في إحدى المهمتين المطلوبتين.
إشارة	إن توزيع الأطفال للعمل في مجموعات زوجية أو أكبر يعتمد على المشرف، وعلى طبيعة المجموعة التي يعمل معها، فقد يفسح لهم المجال أحياناً كي يختاروا شركاءهم أو يقوم هو بتوزيعهم إذا أحس بأن اختيارهم لشركائهم سيعرقل العمل. كما يمكنه أحياناً أن يسمح لهم بانتقاء الأدوار، كما أنه قد يقوم هو في أحيان أخرى بتحديد أدوارهم.
النشاط 3	**وجهات نظر الشخصيات**
الهدف	كيفية تعبير كل شخصية من شخصيات القصة عن نفسها تبعاً لموقعها من دائرة الحدث
الخطوات	**المهمة الأولى** سرد نهاية القصة الأصلية لأن الأطفال غالباً ما سيلّحون على معرفة نهاية القصة كما هي في القصة الأصلية؛ فبعد أن عبروا عن مواقفهم وأفكارهم، واكتشفوا أن هناك إمكانات عديدة لنهايات القصص، وأن أية نهاية مرتبطة بالرسالة التي يريد القاص تحميلها لقصته، فمن الضروري أن يروي المشرف النهاية أمامهم: *«في تلك الليلة، وبينما كان الزوج والأطفال نائمين، حملت الأم جلدها، واتجهت نحو الشاطئ وغاصت في البحر ولم تعد أبدا».* **المهمة الثانية** كتابات من وجهة نظر الشخصيات يطلب المشرف من كل طفل من الأطفال أن يكتب بشكل فردي في واحد من الخيارات التالية: 1) كتابة رسالة على لسان أحد الأطفال الثلاثة موجهة إلى الأم، بعد أن قررت الذهاب، ويرغب في إرسالها لها في البحر. 2) إن الزوجة قد اختارت البقاء مع زوجها وأطفالها، المطلوب اختيار إحدى شخصيات القصة، وكتابة ما كتبته في دفتر اليوميات الخاص بها، لا تنسوا أن هذه اليوميات هي مذكرات شخصية لا يطلع عليها أحد دون رغبة الشخصية، وبالتالي فالشخصية تكتب ما تشاء دونما رقيب أو قارئ. 3) أن الزوجة عادت إلى البحر، المطلوب اختيار إحدى شخصيات القصة، وكتابة ما كتبته في دفتر اليوميات الخاص بها. 4) كتابة الفقمة الأم رسالةً إلى زوجها وأولادها بعد أن عادت إلى البحر.
بدائل	يمكن الطلب من الأطفال أن ينجزوا الكتابة في البيت.
إضاءة	كثيرون هم الأشخاص الذين يكونون على علاقة ما بحدث معين، وسردهم لهذا الحدث سيختلف بناء على اختلاف موقعهم منه، وتأثرهم به، وانشغالهم فيه، فإن في سرد أشخاص لحادث سيارة مثلاً سيختلف، سواء في الوصف المادي أو النفسي، أو ما سيلفت انتباههم أو ما سيتم إهماله ... الخ، فصاحب السيارة التي تعرضت لحادث سيتناول الأمر بصورة معينة، وكذلك كل من له علاقة بالحادث، فالذي تعرض للأذى سيتأثر بصورة معينة، ومن لم يصب بأذى جسدي فقد يكون تعرض لأذى نفسي، والشرطي سيتعامل مع الأمر وفق مقتضيات وظيفته ومتطلباتها، وأحد المارة الذي أخذ يساعد الجريح مثلاً سيتأثر بصورة أخرى، والشخص الذي كان ماراً وهو في عجلة من أمره سيتفاعل بصورة ما، ومندوب شركة التأمين سيتعامل وفق متطلبات وظيفته، والصحافي، وأحد الأصدقاء الذي سمع بالحادث بعد وقت ... الخ، عشرات الشخصيات التي ستكون على صلة بالحادث، ولكن سردها سيرتبط بطبيعة علاقة الشخصية بالحادث. (إننا في هذا الإطار نتفاعل مع هذا الموضوع على مستوى أول، وهو المسافة التي تفصل الشخصية عن الحدث، وطبيعة عملها ووظيفتها، غير أن هناك مستوى آخر أكثر تعقيداً، ليس مجال التفصيل فيه في هذا المقترح، يتمثل في أن الشخصية الإنسانية أكثر تعقيداً من ذلك، وقد يتجاوز تصرف الشخصية وتأثرها بحدث ما تحدده طبيعتها المألوفة اجتماعياً أو وظيفياً، فتتجاوز ذلك إلى سلوك قد يناقض طبيعتها الظاهرة أو المتعارف عليها اجتماعياً، فاختلاف السياقات والأشخاص سيفضي إلى خلق تصرفات غير متوقعة ومتناقضة، فيغدو القاضي، أحياناً، مرتشياً، والشرطي، قد يغدو لصاً ... . فالشخصية الإنسانية شخصية مركبة، تحمل في ثناياها متناقضات كثيرة، وتحولات عديدة، ولذلك فإن الشخصية الإنسانية لا يمكن أن تكون شخصية نمطية. إن تأكيد المشرف أثناء عمله في الدراما على الشخصية الإنسانية والسياق الذي تتحرك فيه وتأثيرات ذلك على فعلها وردة فعلها لهو أمر في غاية الأهمية.
إضافة	هناك العديد من الخيارات الأخرى التي يستطيع المشرف تحديد سياقاتها، وتخيير الأطفال في أن يكتبوا فيها، مثلاً، دفتر مذكرات فقمة أخرى هي صديقة الفقمة في اليوم التالي لعودة صديقتها ... الخ.
إشارة	– من المفضل أن يتوزع الأطفال على الخيارات الثلاثة، بحيث يكتبون فيها جميعها.

النشاط 4	قراءة وتحرير
الهدف	العمل على المادة المكتوبة وتصويبها وتحريرها عبر تبادل الآراء
إحماء	استبدال الكلمات يوزع المشرف نصاً قصيراً، يطلب من المشاركين أن يستبدلوا بعض الكلمات بكلمات أخرى، بحيث لا تؤثر كثيراً على المعنى، وتقترب من المعنى الأصلي.
الخطوات	1) يوزع المشرف الأطفال على مجموعات من 4 أو 5، أو 6، ويطلب من كل مجموعة أن يقرأ أفرادها ما كتبوه في المرة السابقة، وأن يتبادلوا الأفكار والاقتراحات بخصوص ما كتبوه. 2) بعد إنجاز المهمة السابقة، يتيح المشرف لمن يرغب بقراءة نصه أمام الجميع، ثم يفتح المجال للآراء، وتبادل وجهات النظر. 3) يتيح المشرف للأطفال أن يستفسروا أو يستوضحوا أو يطلبوا تعليقات أو بدائل لعبارات أو أفكار كتبوها. 4) يطلب المشرف من الأطفال ان يعيدوا كتابة نصوصهم مرة أخرى.

النشاط 5	لمن الطفلة؟[9]
الهدف	بناء الحكم ضمن سياق معين
إحماء	يختار المشرف مقطوعة موسيقية هادئة، ويطلب من المشاركين أن يركزوا مع الموسيقى تدريجياً، وحين انتهاء الموسيقى يشرع المشرف مباشرة في النشاط التالي:
الخطوات	المهمة الأولى – قراءة الحوار 1) سيبدأ المشرف بالقول: «لقد عثر أحد الباحثين على ورقة تعود إلى إحدى المحاكم، وفي هذه الورقة دوّن كاتب المحكمة ما جرى، ومن الواضح تماماً أن هذه الورقة تشكّل جزءاً من المداولات التي جرت، وهي حوار بين امرأتين أمام القاضي الذي سيقضي في قضية تختلفان فيها، ولا تشير الورقة إلى تاريخ المحكمة أو مكان انعقادها. إن ما سأقرأه عليكم هو الجزء الظاهر الذي يمكن قراءته»: **– لقد سرقت هذه الخادمة ابنتي.** **– لا تصدقها، سيدي القاضي، أنها ابنتي، لقد أرضعتها من صدري، وربيتها على يديّ هاتين ...** **– ولكنها ابنتي التي أنجبتُها من رحمي هذا، لقد حملتها تسعة أشهر، لقد عانيت الكثير أثناء الحمل.** **– ومع ذلك فقد تركتِها للموت، لقد تركتها في القصر، ولم تتجاوز من العمر أشهراً ... وهربتِ أنتِ وزوجك، وها قد مضت الآن سنتان، وفجأة تظهرين لتطالبي بما ليس لك.** **– بل لي، هي ابنتي أنا، وسوف أدفعُ لكِ مقابل عنايتك بها، وسأقدم لك أيضاً مكافأة مالية تقديراً لك.** **– لقد أصبحتْ جزءاً مني، ولو دفعتِ لي كل ما تملكين من مال وقصور وجواهر فإنني لن أتخلى عن ابنتي.** **– إنها ليست ابنتك. لقد خطفتِها من القصر حينما اضطررتُ أنا وزوجي للهرب. لقد كان الأعداء يا سيدي القاضي على بعد خطوات من القصر، ولم يكن بإمكاننا سوى أن نهربُ، لم يكن هناك وقتٌ لإحضار طفلتنا والهرب بها، ولو فعلنا ذلك لكنّا جميعا في حكم الموتى. واستغلت الخادمة الظرف، واختطفت ابنتي الحبيبة.** **– لم اخطفها بل أنقذتُها من الموت، فلو تركتُها لكانت ميتةً الآن. لقد أنقذتها من موت محقق، لقد كان من الممكن أن تموت على أيدي الجنود الذين اقتحموا القصر أو أن تموت جوعاً، ولكنني يا سيدي القاضي غامرتُ بحياتي وصعدت إلى الطابق العلوي وحملتها من سريرها، واتجهت بها من الباب الخلفي، وحينما اقتحم الجنود القصر اختبأتُ في موقد النار ثم غادرت المكان ليلاً ... وأخذتها إلى بيتي الصغير واعتنيت بها وعشت معها وعاشت معي، لقد خضنا حياة صعبة معاً، ولن تستطيع قوة في الأرض أن تفرق فيما بيننا.** **– إن هذه المرأة تعترف بأنها لم تلدها، وتعترف بأنني أنا التي أنجبتُها، ولذلك فإنني أطلب من سيادتكم الحكم بإعادة الطفلة إلى أمها الحقيقية.** **– بل أنا أمها الحقيقية يا سيدي القاضي، لقد ربيتها بيدي هاتين، لقد اشتغلت في كل الأعمال الحقيرة التي تخطر على بالك، والتي لا تخطر أيضاً من أجلها. لقد كانت الحربُ قائمة بكل ضراوتها وقسوتها، ومع ذلك فإنني استطعتُ مواجهتها، وتمكنت من إبقاء طفلتي على قيد الحياة.** *نزل القاضي عن كرسيه، متجها إلى وسط القاعة، طلب طبشورة، وحينما أتوا بها رسمَ دائرة على الأرض، كانت الدائرة أكبر قليلا من حجم الطفلة الصغيرة. وعاد إلى مكانه.* **– أيتها المرأة ضعي الطفلة في مركز الدائرة.**

	– ولكنها ابنتي لقد عشتُ حياتي من أجلها. **– قلت لك ضيعي الطفلة في الدائرة.** *وببطء شديد، تحركت المرأة مقدمة رجلا ومؤخرة أخرى، ووضعت الطفلة في مركز الدائرة. وعادت إلى مكانها خارج الدائرة.* – والآن، على المرأة التي تقف يسار الطفلة أن تمسك بيد الطفلة اليسرى، والمرأة التي على اليمين أن تمسك باليد اليمنى للطفلة. وسأقوم بالعد، وحينما أصل إلى رقم ثلاثة على كل واحدة منكما جذب الطفلة باتجاهها ... واحد .. اثنان ..ثلاثة ... . 2) يتوقف المشرف عن السرد عند هذه اللحظة. 3) يوزع المشرف الأطفال إلى مجموعات ثلاثية، بحيث يكون في كل مجموعة شخص يتبنى تجسيد إحدى الشخصيات الثلاث (القاضي، الأم الحقيقية، الأم المربية). 4) إن المطلوب من كل مجموعة أن تقوم بإنجاز المهمتين التاليتين: أ– تجسيد لحظة وضع الأم المربية للطفلة في مركز الدائرة عبر «الصورة الساكنة» (إن تعبيرات الوجوه، وحركات أجساد الشخصيات الثلاث مهمة للغاية). ب– تخيل ما الذي يمكن أن يحدث (إذا ما كنتم أنتم في الموقف نفسه) بعد قيام القاضي بالعد. المطلوب تجسيد هذه اللحظة عبر أسلوب (الصورة الساكنة). 5) تعرض كل مجموعة الصورتين اللتين أنجزتهما، ويفتح حوار عام بخصوصهما. 6) يطلب المشرف من المشاركين العودة ثانية إلى مجموعاتهم الثلاثية، وأن يراجعوا الصور التي قدمت أمامهم، ويسترجعوا أهم ما جرى في الحوار العام. ثم عليهم تنفيذ المهمة التالية: – إذا كنتم تمثلون هيئة قضائية مكونة من ثلاثة قضاة، فما الحكم الذي ستتخذونه؟ «عليكم اتخاذ القرار وتدوينه مشفوعاً بمبرراتكم». 7) يجتمع الجميع مرة أخرى في مجموعة واحدة، يكون المشرف قد هيأ مكاناً كي يكون منصة القضاة، ويطلب من كل هيئة قضائية أن تجلس على المنصة، وتتلو قرارها من قبل رئيس المحكمة. 8) يخيّر المشرف الأطفالَ في تقمص إحدى الشخصيتين (الأم الأصلية أو الأم المربية) وسيكون المطلوب من كل شخصية أن تقوم بتوجيه رسالة مكتوبة إلى هيئة قضائية أعلى تطعن في الحكم، وتطالب باستئنافه مرة أخرى. 9) بعد إنجاز المهمة، يطلب المشرف من بعض المتطوعين أن يقرأوا رسائلهم أمام الجميع. 10) يفتح المشرف نقاشاً حول ما ورد في الرسائل، ويتمحور حول السؤال التالي: هل يمكن لهيئة القضاء العليا أن تتخذ قراراً مغايراً لقرار المحكمة الأدنى أم أنها ستثبت القرار السابق، ولماذا؟
بدائل	1– يمكن للمشرف الماهر في القص أن يرتجل الحوار بتعبيرات مناسبة منه دون الاستعانة بمدونة المحكمة وقراءتها، ويغير في مهمته بما يناسب ذلك. 2– كما يمكن للمشرف أن ينتج ورقة بالية، ممزقة أطرافها أو مهترئة، ويوزع الأطفال على مجموعات صغيرة، ويكون قد وضع هذه المدونة بعدد المجموعات في أماكن مختلفة من الغرفة، ويطلب من كل مجموعة التوجه إلى حيث تقع كل واحدة من هذه النسخ، وأن يقوموا بقراءاتها بشكل جماعي.
إضافة	1– بهدف تعميق فكرة اختلاف الحكم باختلاف السياق أو المعطيات المقدمة، يمكن أن يقترح المشرف حواراً آخر مختلفاً عن الحوار الذي جرى آنفاً، أو يقوم بإجراء تغييرات فيه، بحيث يمكن لهذه التغييرات أن تخلق صورة أخرى أو تحدياً جديداً أمام الأطفال. 2– يمكن للمشرف تقسيم الأطفال إلى مجموعات ثلاثية، ويوزع النص السابق عليهم، بحيث تقوم كل مجموعة بإنجازه كمشهد مسرحي في وقت آخر، يحدد له عدة أيام لإنجازه، وتقوم كل مجموعة بابتكار الطريقة الإخراجية التي تراها مناسبة لتنفيذ هذا المشهد مسرحياً.
إضاءة	قد يكون من المفيد للمشرف أن يتعرض لأنواع المحاكم، وكيف أن المتهم يستطيع في النظام القضائي أن يستأنف الحكم لدى جهة أعلى. كما يمكن له أن يجلب بعض النماذج لقرارات متخذة من قبل محاكم حقيقية، قد تساعد هذه النماذجُ الأطفالَ على تكوين تصور عن القرارات القضائية وحيثياتها.
النشاط 6	**دوف أم خلدون؟**[10]
الهدف	التساؤل حول دور كل من البيئة والأصل في تكوين الشخصية الإنسانية من خلال التعرف على رواية عائد إلى حيفا.
الخطوات	المهمة الأولى
	يسرد المشرف المقاطع التالية المستلة من الرواية، يحاول تقديمها عبر تقمص الشخصيات، والتركيز على تنوع أصواتها ونبراتها، كما يقدم السرد الذي يتخلل الحوارات بصوته العادي: ...

– هذه هي حيفا يا صفية!

...

– أتعرفين؟ طوال عشرين سنة كنت أتصور أن بوابة مندلبوم ستفتح ذات يوم ... ولكن أبدا لم أتصور أنها ستفتح من الناحية الأخرى.

وحين كان يقود سيارته وسط شوارع حيفا كانت رائحة الحرب ما تزال هناك، بصورة ما، غامضة ومثيرة ومستفزة، وبدت له الوجوه قاسية ووحشية، وبعد قليل اكتشف أنه يسوق سيارته في حيفا دون أن يشعر بأن شيئاً من الشوارع قد تغير. كان يعرفها حجراً حجراً ومفرقاً وراء مفرق، فلطالما شق تلك الطرق بسيارته الفورد الخضراء موديل 1946. إنه يعرفها جيداً، والآن يشعر بأنه لم يتغيب عنها عشرين سنة، وهو يقود سيارته كما كان يفعل، كما لو أنه لم يكن غائباً طوال تلك السنوات المريرة!

...

وفجأة أطل المنزل، المنزل ذاته، ذلك الذي عاش فيه، ثم عيّشه في ذاكرته طويلاً، وها هو الآن يطل بمقدمة شرفاته المطلية باللون الأصفر.

ولوهلة خيل إليه أن صفية، شابة وذات شعر مجدل طويل، ستطل عليه من هناك. كان حبل جديد للغسيل قد دق على وتدين خارج الشرفة، وتدلت منه قطع بيضاء وحمراء لغسيل جديد. وفجأة أخذت صفية تبكي بصوت مسموع، أما هو فقد انحرف إلى اليمين، وترك عجلات سيارته تصعد الرصيف الواطئ. ثم أوقف السيارة في المكان الذي لها، كما كان يفعل– تماما – قبل عشرين عاما!

...

وضع إصبعه على الجرس وهو يقول بصوت خافت لصفية:

– «غيروا الجرس».

وسكت قليلاً ثم تابع:

– «والاسم أيضا»!

...

وقرقع المزلاج بصوت مكتوم، وببطء انفتح الباب.

– «هل نستطيع أن ندخل».

ولم تفهم المرأة العجوز، السمينة بعض الشيء والقصيرة، التي كانت تلبس ثوباً أزرق منقطاً بكريات بيضاء. فأخذ سعيد يترجم إلى الإنجليزية، وعندما انفرجت أسارير العجوز المتسائلة، وسعت من الطريق حتى دخلا، ثم أخذت تسير أمامهما نحو غرفة الجلوس.

...

وحين استدار عائداً إلى مكانه، رأى أن الستائر قد تغيرت، وأن تلك التي اشتغلتها صفية، قبل عشرين سنة، بالصنارة، من الخيوط السكرية اللون، قد اختفت من هناك، واستبدلت بستائر ذات خطوط زرقاء متطاولة.

...

– «منذ زمن طويل وأنا أتوقعكما».

كانت لغتها الإنجليزية بطيئة، وذات لكنة أقرب إلى الألمانية، وتبدو، إذ تتلفظ بها، كما لو أنها تنتشل كلماتها من بئر غبار سحيقة الغور.

وانحنى سعيد إلى الأمام وسألها:

– «هل تعرفين من نحن؟».

وهزت رأسها بالإيجاب عدة مرات لتزيد الأمر تأكيداً، وفكرت قليلاً كي تنتقي كلماتها، ثم قالت ببطء:

– «أنتما أصحاب هذا البيت، وأنا أعرف ذلك».

– «كيف تعرفين؟».

جاء السؤال من سعيد وصفية في وقت واحد.

وزادت العجوز في ابتسامتها. ثم قالت:

– «من كل شيء. من الصور، من الطريقة التي وقفتما بها أمام الباب ...».

– «من أين جئت»؟ (قالت صفية)

– «من بولونيا».

– «متى؟».

– «في سنة 1948».

– «متى بالضبط؟».

– «أول آذار، 1948».

...

... وفجأة سأل بفظاظة وهو يشير إلى المزهرية:

– «كان هنا سبع ريشات، ماذا حدث للريشتين المفقودتين؟».

ونظرت العجوز إلى حيث أشار، وعادت فنظرت إليه متسائلة، وكان ما يزال يمد ذراعه باتجاه المزهرية ويحدق فيها مطالباً بالجواب، وكان الكون كله يقف على رأس لسانها. نهضت من مكانها واقتربت نحو المزهرية وأمسكتها كما لو أنها تفعل ذلك لأول مرة، ثم قالت ببطء:

– «لست أدري أين ذهبت الريشتان اللتان تتحدث عنهما. ذلك شيء لا أستطيع أن أتذكره، ربما كان «دوف» قد لعب بهما وضيعهما بعد ذلك، حين كان صغيرا».

– «دوف؟»

قالاها معا، سعيد وصفية، ووقفا وكأن الأرض قذفتهما إلى فوق، وأخذا، متوترين، ينظران نحوها، فمضت تقول:

– «أجل. دوف»، ولست أدري ماذا كان اسمه، وإن كان يهمك الأمر، فهو يشبهك تماما ...».

...

– «ومتى سيحضر؟».

– «وقت أوبته الآن، ولكنه قد يتأخر قليلاً. لم يلتزم طوال عمره بموعد لعودته إلى البيت، إنه مثل أبيه تماماً ... كان..».

وصمتت وهي تعض قليلاً على شفتها وتنظر نحو سعيد الذي أحس ببدنه يرتجف للحظة وكأن تياراً كهربائياً مسه. «مثل أبيه!»... أما صفية فقد أخذت تربت على كتفه، لقد فهمت بصورة غريبة ذلك الارتطام الذي لا يصدق، والذي يمكن للكلمات أحياناً أن تفعله على حين فجأة، ثم قالت:

– «انظر من الذي يتحدث! إنها تقول «مثل أبيه!» وكأن لخلدون أباً غيرك!».

إلا أن مريام تقدمت إلى الأمام، ووقفت معدة نفسها لتقول شيئاً صعباً. ثم ببطء أخذت تنتزع الكلمات التي تبدو وكأن يداً ما تنتشلها من أعماق بئر محشو بالغبار:

– «اسمع يا سيد سعيد. أريد أن أقول لك شيئاً مهماً، ولذلك أردتك أن تنتظر دوف، أو خلدون إن شئت، كي نتحدثا. وكي ينتهي الأمر كما تريد له الطبيعة أن ينتهي، أتعتقد أن الأمر لم يكن مشكلة لي كما كان مشكلة لك؟ طوال السنوات العشرين الماضية وأنا محتارة، والآن دعنا ننتهي من كل شيء. أنا أعرف أبوه، وأعرف أيضاً أنه ابننا، ومع ذلك لندعه يقرر بنفسه، لندعه يختار. لقد أصبح شاباً راشداً، وعلينا نحن الاثنين أن نعترف بأنه هو وحده صاحب الحق في أن يختار ... أتوافق؟».

وقام سعيد عن مقعده، وظل صامتاً كأنه لم يسمع حرفا ... وأخيراً التفت إلى صفية وشرح لها ما قالته ميريام، فقامت من مكانها ووقفت إلى جانبه، ثم قالت بصوت مرتجف:

– «ذلك خيار عادل ... وأنا واثقة أن خلدون سيختار والديه الحقيقيين. لا يمكن أن يتنكر لنداء الدم واللحم».

وفجأة أخذ سعيد يضحك بكل قوته ... :

– «أي خلدون يا صفية؟ أي خلدون؟ أي لحم ودم تتحدثين عنهما؟ وأنت تقولين أنه خيار عادل! لقد علموه عشرين سنة كيف يكون. يوماً يوماً، ساعة ساعة، مع الأكل والشرب والفراش ... ثم تقولين خيار عادل! إن خلدون، أو دوف أو الشيطان إن شئت، لا يعرفنا! أتريدين رأيي؟ لنخرج من هنا، ولنعد إلى الماضي. انتهى الأمر. سرقوه».

– ... «ربما كان لا يعرف على الإطلاق أنه ولد من أبوين عربيين ... ربما عرف ذلك قبل شهر، أو أسبوع، أو سنة ... فماذا تعتقدين؟ أنه مخدوع، وقد يكون أكثر حماساً لهماً منهم ... لقد بدأت الجريمة قبل عشرين سنة، ولا بد من دفع الثمن ... بدأت يوم تركناه هنا».

– «ولكننا لم نتركه. أنت تعرف».

– «بلى. كان علينا ألا نترك شيئاً. خلدون، والمنزل، وحيفا!...» .

– «ها هو دوف. لقد جاء!».

...

– «تعال هنا يا دوف، يوجد ضيوف يرغبون برؤيتك».

وانفتح الباب بشيء من البطء، ولأول وهلة لم يصدق، فقد كان الضوء عند الباب باهتاً، ولكن الرجل الطويل القامة خطا إلى الأمام. كان يلبس بزة عسكرية، ويحمل قبعته بيده.

وقفز سعيد واقفاً كأن تياراً كهربائياً قذفه عن المقعد، ونظر نحو ميريام وهو يقول بصوت متوتر:

– «هذه هي المفاجأة؟ أهذه هي المفاجأة التي أردت منا انتظارها؟».

واستدارت صفية نحو النافذة، تخفي وجها براحتيها وتنشج بصوت مسموع.

أما الرجل الطويل القامة فقد ظل مسمرا أمام الباب، ينقل بصره بين الثلاثة محتاراً، وعندها فقط قامت «ميريام»، وقالت للشاب بهدوء مفتعل وبطيء:

– «أريد أن أقدم لك والديك... والديك الأصليين».

	وخطا الشاب الطويل القامة خطوة بطيئة إلى الأمام، وتغير لونه فجأة وبدا أنه فقد ثقته بنفسه دفعة واحدة. ثم نظر إلى بزته وعاد ينظر إلى سعيد، الذي كان واقفا لا يزال أمامه يحدق إليه. وأخيراً قال الشاب بصوت خفيض: **– «أنا لا أعرف أماً غيرك، أما أبي فقد قُتِل في سيناء قبل 11 سنة، ولا أعرف غيركما».** *** **المهمة الثانية** **– يوزع المشرف المشاركين إلى مجموعات ثنائية، يقسم المجموعات الثنائية إلى قسمين؛ القسم الأول للمهمة (أ) والقسم الثاني للمهمة (ب):** والمهمتان هما: أ– إنتاج الحوار في سياق متخيل (الزوجان العربيان) المطلوب من مجموعات (أ) أن تقوم بعملين خلال هذه المهمة: العمل الأول وسياقه هو (سعيد.س وزوجته، وهما هاربان من حيفا في طريقهما إلى رام الله بعد أن احتلها اليهود). المطلوب تحديد المكان والزمان والملابس والطريق التي يسلكانها وبواسطة ماذا؟ ومع من؟ العمل الثاني: المطلوب تخيل للحوار الذي جرى بين سعيد.س وزوجته في هذا السياق الذي اقترح آنفاً. ب– إنتاج الحوار في سياق متخيل (الزوجان اليهوديان) المطلوب من مجموعات (ب) أن تقوم بعملين خلال هذه المهمة: العمل الأول وسياقه هو (اليهوديان ميريام وزوجها حينما عثرا على الطفل). المطلوب تحديد المكان والزمان والملابس، ومع مَنْ. العمل الثاني: المطلوب تخيل الحوار الذي جرى بين ميريام وزوجها في هذا السياق المقترح آنفاً. **المهمة الثالثة** يعطي المشرف مساحة مناسبة من الوقت لجميع المشاركين كي ينتجوا هذا الحوار على هيئة مشهد مسرحي. **المهمة الرابعة** يعرض المشاركون مشاهدهم، ويتناقشون فيها.
بدائل	– يمكن للمشاركين أن يقرأوا النص بشكل مستقل في موقع النشاط أو في البيت. – يمكن قراءته في المجموعة من خلال توزيع الشخصيات على أطفال، وبالتالي يقومون بقراءة أدوارهم. كما يقوم أحدهم بقراءة دور السارد.
إضافة	1– يمكن أن يطلب المشرف من الأطفال أن يقوموا بعمل آخر، وهو تخيل حوار بين الزوجين العربيين وآخر بين الزوجين اليهوديين بعد أن انتهت الزيارة، وغادر سعيد. س وزوجته إلى رام الله. 2– هناك إمكانات هائلة لتخيل سياقات مختلفة وإنتاج بدائل، وتقديم معطيات أخرى تفضي إلى أنشطة عديدة (إن اللعب بفكرة الزمان والمكان وملاحقة الشخصيات وتتبع مسارات حياتها، وتخيل سياقات أخرى سيفضي إلى تقديم نصوص حوارية كثيرة). 3– يمكن للمشرف أن يوزع المشاركين على الشخصيات الخمس: سعيد س، زوجته، ميريام، زوجها، دوف، ويطلب منهم إنجاز مهمات كتابية كثيرة، منها: تسجيل حلم جرى للشخصيات في الليلة التي تلت الزيارة، أو حوار داخلي جرى في داخل الشخصية في تلك الليلة، أو أن الشخصية تمتلك دفتر مذكرات شخصية، وكتبت فيه.
إضاءة	تتناول رواية «عائد إلى حيفا» قصة عائلة فلسطينية كانت تسكن في مدينة حيفا قبل العام 1948، وبعد أن احتلت العصابات الصهيونية المدينة هربت العائلة إلى مدينة رام الله تاركة وراءها طفلها خلدون، ولم تستطع أخذه معها أثناء هربها من الموت الذي كان يقترب منها. وفي العام 1967، بعد أن احتلت القوات الإسرائيلية الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان انفتحت الحدود وصار بإمكان الفلسطينيين الذين يقطنون الضفة الغربية وقطاع غزة التوجه لزيارة منازلهم التي تركوها في يافا وحيفا وعكا واللد والرملة ... وغيرها من المدن والقرى الفلسطينية. وبعد أيام من الاحتلال توجهت عائلة (سعيد.س وزوجته صفية) إلى منزلها في حيفا أملاً في العثور على خلدون الذي تركاه فيها قبل عشرين عاماً.
إشارة	– **إشارة أولى:** ليس ملزماً أن تتسلسل المهمات كما ورد سابقاً، فمثلاً يمكن للمشاركين إن يبدأوا بإنتاج الحوار عبر قيامهم في الوقت نفسه بتصميم المشهد الدرامي، وهذا قد يكون أكثر فائدة، لأنه سيمنحهم إمكانات نظر جديدة إلى الحوار من خلال تخيل وضعية الشخصيات وحركتها، ومن خلال الاقتراب منها عبر تقمصها. – **إشارة ثانية:** إن قراءة المشرف لبعض الدراسات النقدية التي تناولت الرواية قد يكون مفيداً في توجيه الأنشطة، وفي تصميم أنشطة جديدة، إضافة إلى ما قد تتيحه القراءات من تعرف على مواقف فكرية وجمالية متنوعة ستفيد الدرامه التي قد يطلبها المشرف من المشاركين.

النشاط 7	عبارات على نصب تكريم الأمومة
الهدف	الموازنة بين الأمهات ووضعياتهم المختلفة والسياقات المتنوعة لما جرى معهن.
الخطوات	– يوزع المشرف المشاركين إلى مجموعات خماسية، بحيث يتبنى كل مشارك إحدى الأمهات، وللتذكير بالأمهات فهن: 1– الأم الفقمة (الزوجة الفقمة) 2– الأم المربية (لمن الطفلة؟) 3– الأم الأصلية (لمن الطفلة؟) 4– ميريام (عائد إلى حيفا) 5– صفية (عائد إلى حيفا) – يعرض المشرف على المشاركين السياق التالي: «قررت مدينتنا أن تضع نصباً في وسط المدينة تقديراً للأمومة، وقد دعوناكن أيتهن الأمهات الخمس لتشاركننا في هذا الأمر، إننا نأمل منكن مساعدتنا في: المهمة الأولى: إنتاج فكرة النصب (التمثال أو المنحوتة). تعمل كل مجموعة على تشكيل تصور للنصب الذي تقترحه بأجساد المجموعة أو بعض أعضائها، يجسد هذا النشاط الدرامي من خلال استخدام الصورة الساكنة. المهمة الثانية: تقوم كل مجموعة باختيار فقرة لا تتجاوز ثلاثين كلمة ليتم نقشها على النصب، المطلوب من كل مجموعة أن تتحاور وأن تتفق على هذه الفقرة وتدونها لتقوم بعرضها لاحقاً أمامنا». – يمنح المشرف المجموعات 20 دقيقة لإنجاز هاتين المهمتين؛ صورة النصب وكتابة الفقرة المختارة على ورق كبير، ويمكن هنا استخدام ألوان ورسومات وخطوط مختلفة، وكأن هذه الورقة هي المساحة التي سيكتب عليها على النصب. – تعرض المجموعات صورها ونصوصها بالتتالي. – بعد انتهاء العروض تعرض كل مجموعة نصها في مكان بارز، على الجدران مثلاً، ويتجول المشاركون لقراءتها. – يجمع المشرف المشاركين، ويتناقشون في الفقرات التي قرأوها. **المهمة الثانية** – يقوم كل مشارك باختيار إحدى الأمهات، لتكون محوراً لقصة جديدة سيقوم هو بكتابتها، ومن المفيد الإشارة إلى العناصر التالية كإضاءات للمشاركين حين يكتبون قصصهم: 1– تحديد الزمان والمكان الذي سيجري فيه الحدث الذي ستكون الأم محوره، قد يكون هذا الحدث قبل سنوات من تلك الحادثة التي جرت معها في القصة التي عرضت سابقاً، وقد يكون بعد سنوات منها. 2– التركيز على حادثة واحدة أساسية، بحيث أن الأحداث ستجري في مساحة زمنية قصيرة، فلسنا بحاجة هنا لعرض مدى طويل من حياة الشخصية، يكفي أن يكون ذلك موقفاً، سلوكاً، حادثة صغيرة، حالة ما، ... الخ 3– الاهتمام بعناصر القص التالية: – تحديد السارد. – الاهتمام بسرد التفاصيل. – الاهتمام بالوصف المادي والحركي والنفسي للشخصيات وعلاقاتها وأمكنة حركتها. – توظيف الحوار الخارجي والداخلي. – الاهتمام ببدايات غير تقليدية، فيمكن البدء ببداية مدهشة، مشوقة عبر حدث مفاجئ، أو حوار، أو ردة فعل، فليس ضرورياً أن يكون هناك تمهيد للقصة. – الاهتمام بنهايات مثيرة ومدهشة وجديدة.
إشارة	لقد تم اختيار تعبير (الأمومة) للنصب المقترح وضعه في وسط المدينة، ولم يتم اختيار تعبير (الأم). إن هذا يعطي مجالاً أوسع للتعامل مع المفهوم، وبخاصة أن الأمومة لم تقتصر فقط على الأمهات كما تبين ذلك من صور الأمومة الخمس التي تناولتها القصص.

استلهام الذاكرة الشعبية في تأليف قصة شخصية ووضع رسوماتها

أولاً – كتابة القصة

إن الأنشطة السابقة التي وردت في القسم الأول هي بمثابة تأسيس لعوالم القصة في أذهان المشتركين، سواء أكانت عوالم فكرية – معرفية أو فنية – جمالية. أما الأنشطة المتتابعة التي سترد في القسم الثاني، فهي تمثل الخوض في تجربة كتابة قصة متكاملة. وفي هذه المرحلة لا يتدخل المشرف في محتوى الكتابة

أو شكلها الفني بقدر ما يبني سياقاً يمكن للمشاركين من خلاله أن ينتبهوا ويفكروا في عناصر فنية عديدة تساعدهم في بناء قصصهم الذاتية. كما أن هذه الأنشطة تفسح لهم مجالاً للاختيار بين أشكال قصصية عديدة يمكن أن يختاروا منها في تكوين عالم القصة التي سينجزونها في النهاية.

النشاط 8	قصص من ذاكرة الكبار
الهدف	تجميع قصص وحكايات حقيقية عن اللجوء الفلسطيني، من الأقارب وأصدقاء العائلة الذين مروا بالتجربة بشكل مباشر، وكتابتها. قراءة عدد من هذه الحكايات أمام الجميع، واختيار نقطة انطلاق لكتابة قصة شخصية.
الخطوات	– نطلب من المشتركين أن يتجهوا إلى شخص ما من كبار السن الذين عاصروا مرحلة التهجير في العام 1948 كي يحدثوهم عن قصص واقعية حدثت خلال عمليات التهجير واللجوء. – في لقاء قادم يقرأون قصصهم أمام المجموعة الكلية. – يطلب المشرف من كل واحد من المشاركين أن يختار شيئاً ما من قصته أو القصص التي استمع إليها كأن تكون مثلاً شخصية، حادثة، فكرة، موقف، حالة، شيء مادي مثل مفتاح، شجرة، كتاب، رسالة، وثيقة ... . – يطلب المشرف من كل مشارك أن يكتب في مركز ورقة بيضاء ما اختاره، ثم ليضع حوله الأسباب التي دفعته لهذا الاختيار، ليس بالضرورة أن تكون أسباباً منطقية أو مفهومة من قبل الآخرين، فقد يكون ذلك لأسباب نفسية، عاطفية، غير مفسَّرة، المهم أن يكتب المشارك تداعيات لها علاقة بهذا الاختيار.
إضاءة	– تختزن الذاكرة الشعبية قصصاً وأحداثاً غنية بعضها واقعي، وبعضها الآخر تسلل إليه الخيال، وقد تكون هذه المادة المستحضرة من الذاكرة ملهمة لكتابة قصص جديدة، وستوفر في الوقت نفسه إمكانية للمشاركين في أن يتعرفوا على جزء من تاريخ أهلهم وكيفية عرضه أمامهم. – من المفيد تذكير المشاركين بضرورة تدوين أو تسجيل القصص كما يسمعونها كمرحلة أولى، قد يساعد المشرف المشاركين في كيفية تدوين التاريخ الشفوي، وطريقة طلب ذلك من الكبار، وفي آلية إجراء الحوار معهم.
إشارة	قد يتناول المشرف إطاراً مختلفاً عن إطار «التهجير واللجوء»، حيث يمكن استخدام هذه الأساليب نفسها في أطر وخيارات مختلفة.
النشاط 9	**تحديد ملامح أولى للقصة**
الهدف	الشروع في تلمس خطوط أساسية لعالم القصة، وتحديد بؤرة مثيرة وذات جاذبية.
الخطوات	– يطلب المشرف من المشاركين أن يكتبوا، بشكل فردي، أفكاراً أولية حول الحدث أو الموقف أو الحالة التي تم اختيارها لتكون بؤرة لحكايتهم التي ستغدو قصة لاحقاً، يمكن الإفادة من النشاط السابق الخاص بدوافع الاختيار. – يقسم المشرف المشاركين إلى مجموعات خماسية، بحيث يقوم أعضاء كل مجموعة بإطلاع أعضاء المجموعة على تصورهم الأولي لحكايتهم. – يشارك أعضاء المجموعة بالتتالي بارتجال الحدث الأولي عبر تقمص شخصيات وردت في التوصيف الأولي، أو قد يضيفون شخصيات أخرى أو يقترحون تعميقاً أو تغييراً في الحدث المقترح.
إضاءة	«ما أعنيه بالحكاية، ليس القصة بالذات، بل الموقف أو الحدث أو المفارقة. إنها الشرارة الأولى التي تثير هواجسي الفكرية، وتحرض الخيال على إعادة البناء أو التلاعب به، وفق الرؤية الفنية التي تشغلني. فالحكاية بهذا المعنى هي إضاءة فريدة وفردية. أحيانا تكشف لي آلية اجتماعية نموذجية، وأحيانا تتقاطع مع مشكلة فكرية تشغلني ...».[11]
إشارة	– يساعد الارتجال في تدفق الأفكار بشكل تلقائي، ويمنح عضو المجموعة أفكاراً لتطوير حكايته. – من المفيد أن يساهم الارتجال في الانتقال بالحادثة من العموميات إلى التفاصيل، المتمثلة بـ: من؟ ما؟ متى؟ أين؟ ما الذي يحدث؟ ما الذي أفضى إلى ما حدث؟ ما الذي يمكن أن يؤدي إليه الذي يحدث الآن؟
النشاط 10	**تحديد السارد وخطاب السرد**
الهدف	التعرف على أن اختيار راوي القصة يؤثر في مضمونها، والرسالة التي تحملها.
الخطوات	– يطلب المشرف من كل مشارك أن يحدد الشخصية التي تروي القصة. – أن يقوم بكتابة القصة من وجهة نظر الراوي.

	– يقرأ المشاركون قصصهم الأولية، ويتبادلون وجهات النظر فيها، يركز في النقاش على الفكرة الأساسية، وإمكانات تطويرها، ومواقع الإضافة والشطب، التسلسل، اللغة، الحوارات الممكنة ... . يعيد المشاركون كتابتها بناء على الملاحظات والأفكار التي استمعوا لها، ويتأكدون من تسلسلها وفق منطقهم الخاص.
بدائل	قد يقترح المشرف على المجموعة توجهات معينة للكتابة، مثلاً، ما الذي يحصل الآن مع المهجر الذي تم اختياره كمحور للقصة، ماذا يفعل؟ إن كانت هناك شخصيات وردت في الحكاية، ولم تقدم الحكاية سوى تفاصيل بسيطة، هل يمكن في سياق تخيلي أن نتتبع مسار تلك الشخصية أو أن نتخيل حوادث وقعت معها؟
إضاءة	قد يكون السارد شخصية الكاتب نفسه، وهي شخصية من خارج القصة أو إحدى شخصيات القصة، وقد يكون خطاب السرد بلسان المتكلم أو الغائب أو المخاطب. إن أي اختيار في هذا المجال سيكون له أثره على طبيعة القص، وتحديد وجهة نظر السارد بالنسبة لعلاقته بما يجري.
إشارة	ليس ملزما للمشارك أن ينفذ جميع الاقتراحات التي ستقدم له من بقية الزملاء، إن الأمر متروك لقناعته الشخصية.
النشاط 11	**أ- البدايات**
الهدف	اختيار بداية القصة.
الخطوات	– يطلب المشرف من المشاركين أن يقرأوا مطالع قصصهم، ثم عليهم أن ينحوها جانباً، عندها يطلب منهم أن يكتبوا مفتتحاً جديداً لقصتهم (أن يكتبوا الفقرة الأولى مرة أخرى، محاولين تجنب العبارات التي وردت في مطالع قصصهم، أن يبدأوا بصورة جديدة، بكلمات جديدة، ربما بأفكار جديدة ...).
إشارة	يمكن أن تنفذ تمرينات إعادة كتابة مطلع القصة عدة مرات، وبعدها يمكن لهم أن يختاروا إحداها أو يولفوا فيما بينها، فيأخذون من هنا وهناك.
	ب - النهايات
الهدف	اختيار نهاية القصة.
الخطوات	– يطلب المشرف من المشاركين أن يقرأوا نهايات قصصهم، ثم عليهم أن ينحوها جانباً، عندها يطلب منهم أن يكتبوا نهايات جديدة لقصصهم (أن يكتبوا الفقرة الأولى مرة أخرى، محاولين تجنب العبارات التي وردت في مطالع قصصهم، أن يبدأوا بصورة جديدة، بكلمات جديدة، ربما بأفكار جديدة ...).
إشارة	يمكن أن تنفذ تمرينات إعادة كتابة نهاية القصة مرات عدة، وبعدها يمكن لهم أن يختاروا إحداها أو يولفوا فيما بينها، فيأخذون من هنا وهناك.
النشاط 12	**المراجعة والتحرير**
الهدف	أن يبدأ المشاركون بالتعرف على كيفيات مراجعة قصصهم وتحريرها.
الخطوات	– يعمل المشرف مع الأطفال في المجالات[12] التالية: – حذف جميع العبارات والكلمات الزائدة التي إذا ما حذفت، فإنها لن تؤثر على القصة. – العمل على إيجاد كلمات بديلة للكلمات التي يعتقدون بأنها ليست ملائمة تماماً للسياق الذي وردت فيه. – تطويل بعض الجمل وتكثيف البعض الآخر بناء على مقتضى الحال. – تصويب الأخطاء اللغوية (الإملائية والصرفية والنحوية). – التأكد من سلامة التركيب اللغوي للجمل. – وضع علامات الترقيم المناسبة. – بعد ذلك يطلب منهم أن يعيدوا كتابة القصة بصورتها النهائية.
إشارة	يحدث كثيراً خلال عملية الكتابة أن يكتشف الكاتب أنه يرغب في إجراء تغيرات أخرى على كتابته، فليفعل، إن هذا يؤكد أن عملية الكتابة ليست مجرد عمل تقني، بل إنها ممارسة فعلية للتفكير بصورة مادية، وليس بصورة ذهنية بحتة فقط.
النشاط 13	**اختيار العنوان**
الهدف	اختيار عنوان ملائم للقصة من بين مجموعة من العناوين.
الخطوات	يطلب المشرف من الأطفال أن يقوموا بوضع مجموعة من العناوين لقصصهم ليقوموا بعد ذلك باختيار واحد منها.
إشارة	تتنوع العناوين من عناوين بكلمة واحدة إلى كلمتين أو أكثر، قد يبنى العنوان على هيئة جملة أو شبه جملة ... الخ. إن طبيعة العناوين التي يمكن اختيارها غير محدودة وواسعة كثيراً.

ثانياً - مسلسل الرسومات المرافقة (Story Board)[13]

النشاط 14	الخطوط العريضة لمخطط رسومات القصة
الهدف	تحديد الصور التي ستتضمنها القصة.
تهيئة	إعادة تركيب صور قصة
الخطوات	– يقسم المشرف المشتركين إلى مجموعات صغيرة (ليس مهماً عدد كل مجموعة هنا، إن هذا يعتمد على ما يجلبه المشرف من رسومات). – يوزع المشرف على كل مجموعة رسومات لقصة قام باختيارها سابقا (قد يوزع على جميع المجموعات رسومات القصة نفسها، وقد يوزع على كل مجموعة رسومات قصة مختلفة، ويطلب من كل مجموعة أن تعيد ترتيب الصور في تسلسلها المنطقي). – يطلب المشرف من الأطفال أن يعيدوا قراءة قصصهم، واضعين خطوطاً تحت الفقرات التي يعتقدون بأن محتواها ملائم ليشكل الصور التي سيقومون برسمها فيما بعد (من المفضل أن يرسموا الخطوط بلون آخر غير لون النص، أو أن يُحدد بأقلام الفسفور المعروفة). – أن يعيدوا النظر في الفقرات التي أشاروا إليها، وأن يسجلوا، بشكل موجز، على هامش الورقة الأيسر، الفكرة العامة للمضمون الذي يمكن للصورة أن تتضمنه. – بعد الانتهاء من الخطوة السابقة، من المفيد الآن أن ينظروا في هذه الأفكار العامة التي تشكل اقتراحات أولية للصور المحتمل رسمها، وأن يعيدوا النظر فيها آخذين بعين الاعتبار ما يلي: 1– هل تعبر (اقتراحات الصور) هذه عن تسلسل الأحداث في القصة، هل يمكن أن تشكل الترتيب المنطقي الذي بني في داخل النص القصصي. 2– هل يتطلب الأمر إضافة اقتراحات لصور أخرى لم يشر إليها سابقاً، ومن الضروري إضافتها؟ (ما هي الصور الأخرى المحتملة؟ أين موقعها في التسلسل؟ (نقوم بإضافة الأفكار العامة لهذه الاقتراحات في موقعها). – بعد قيام الجميع بإنجاز هذه المهمة، يتيح المشرف المجال لكل مشترك كي يعرض مقترحه الخاص لصور قصته أمام المجموعة. – يقدم بقية المشتركين مقترحاتهم وأفكارهم وملاحظاتهم لما يعرض عليهم من تصورات لمخطط الرسومات المقترح من قبل كل واحد من أفراد المجموعة، ومن حقه أن يناقشهم أو أن يستمع لملاحظاتهم فقط.
إضاءة	من المفيد تنبيه الأطفال إلى الملاحظات التالية: 1– أن يضعوا خطوطاً على الفقرات التي يشكل كل واحد منها حادثة من حوادث القصة، بحيث يكون تحديد الفقرة التالية استناداً إلى تغير ما، سواء أكان تغيراً جزئياً أم تغيراً كبيراً، وهذا التغير يقاس من خلال تسلسل الأحداث وانتقالها من مستوى لآخر. 2– قد تكون التغيرات التي حدثت في القصة كثيرة، ولا يمكننا أن نخصص لكل تغير، سواء أكان تغيراً ثانوياً أم جوهرياً، صورة خاصة به. ربما سيكون من المفيد أن تكون الرسومات ما بين 4 أو 8 أو 12 صورة (إن هذا الرقم مفيد كي يعرفوا بأن هذا يسهل عمل المطبعة ولا يترك أوراقاً زائدة بيضاء لا ضرورة لوجودها.
إشارة	إشارة أولى: إن تحديد رسومات أية قصة يعتمد بالدرجة الأولى على مستوى الأطفال العمري، وبالتالي فاختيار القصص يتحدد بناء على ذلك، من حيث مستوى البساطة أو التعقيد، الواقعية أو الرمزية ... الخ. إشارة ثانية: إن تحديد عدد الصفحات ليس ملزماً، فقد يقرر بعض الأطفال أي عدد من الصفحات، ولهم الحق في أن يختاروا ما يريدون في نهاية المطاف، إن ذلك يعتمد على المنطق الذي من خلاله قرروا عدد صفحات قصتهم. إشارة ثالثة: من حق كل مشارك أن يقرر ما الذي سيتبناه، وما الذي لن يقبله من الملاحظات التي قدمها له الزملاء أو المشرف على مخطط الرسومات الخاص به.

النشاط 15	مخطط مسلسل الرسومات على الورق
الهدف	بناء مخطط متسلسل للرسومات
	الخطوات1– على ورق كبير (A3) مثلاً، يخطط كل كاتب قصة مخططاً لقصته بقلم الرصاص كالشكل المقابل: 2– يتحدد عدد المربعات التي ينجزها المشارك بناء على عدد الصور التي حددها سابقاً. 3– يتم ترقيم المربعات أفقيا بالترتيب إلى أن يصل الرقم الأخير لآخر صورة في مخطط الرسومات المقترح. 4– بقلم الرصاص، وبتشكيلات بسيطة جداً يتم وضع رسومات أولية لمتضمنات كل صورة من الصور في مربعها الخاص بها، مع الأخذ بعين الاعتبار المكان الذي يجري فيه الحدث، والأشياء

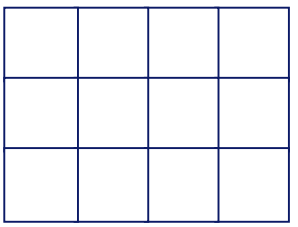

	الموجودة في حيز الحدث، والشخصيات الموجودة في الحدث، سواء أكانت رئيسية أم ثانوية. 5- يقوم المشرف بمتابعة العمل الذي يقوم به كل كاتب على حدة، ويناقشه في محتوى كل صورة من الصور، وقد يلفت نظره إلى أمور، أو يتساءل عن اتجاه أمور أخرى، ويشجعه على استكمال المخطط حتى آخره.
إشارة	إن هذا المخطط سيساعد كاتب القصة على الاعتماد عليه حين يبدأ بإنجاز الرسومات في المرحلة التالية.

النشاط 16	تأليف النص والرسومات (المونتاج)
الهدف	إنتاج القصة بصورة فنية ونهائية.
الخطوات	يطلب المشرف من المشاركين تنفيذ المخطط المنجز لإنتاج القصة بصورتها النهائية، بحيث: - يقرر كل منهم في البداية الكيفية التي ستظهر فيها قصته من حيث توزيع الكلام، والرسومات، بحيث يبدأ بتحديد العناصر التالية: - حجم الورق الذي سيستخدمه (كبيراً، صغيراً، متوسطاً، طولياً، عرضياً (وربما على هيئة إبداعية أخرى: مثلثاً، دائرياً، أو أية هيئة أخرى يريدها). - مواضع الرسومات والنصوص؟ فهل يريد أن يضع الرسم في صفحة، والنص في صفحة مقابلة، أم الرسم في أعلى الصفحة والنص المناسب لها أسفلها، أو العكس؟ هل ستتداخل الرسومات مع النصوص بصورة من الصور .... الخ؟. تقرير صورة الغلاف (فقد تكون صورة الغلاف إحدى رسومات القصة، أو توليفاً لعناصر عديدة من رسومات القصة، أو اختياراً لرسم جديد). -ثم يعملون على تنفيذ المخطط المتسلسل المنجز بناء على هذه التصورات عبر إنتاج الرسومات وكتابة النص بصورة مكتملة. - يفردون مواضع خاصة لكل من (اسم القصة، واسم المؤلف، ورقم الطبعة، وتاريخ الطبعة، ودار النشر، وترجمة ذاتية قصيرة حول المؤلف (على الغلاف الخارجي الأخير مثلاً).
إشارة	إشارة أولى: يمكن إنجاز الصورة النهائية للقصة بصورتين: الأولى: العمل اليدوي (الرسومات والكتابة). الثانية: عبر توظيف الكمبيوتر في إدخال الرسومات وطباعة النص، وتوليفهما بصورة متكاملة. إشارة ثانية: قد يساهم فنان أو مدرس التربية الفنية في المدرسة في هذا المشروع، بحيث يكون شريكاً فيه، ويتولى الاهتمام بالجانب التقني، كما يمكن الإفادة من مصمم تقني أو أستاذ الكمبيوتر في تنفيذ الصورة النهائية للقصة. إشارة ثالثة: يمكن اعتماد أشكال مختلفة في إنجاز الرسومات كأن تكون رسومات متكاملة أو توليفاً لصور ورسومات (كولاج)، ويمكن استخدام أشكال ومواد وأدوات متنوعة لتحقيق ذلك.

النشاط 17	عرض القصص ومناقشتها
الهدف	تبادل الخبرات والمعارف.
الخطوات	- يقوم المشرف بالإشراف على عملية تبادل القصص، بحيث يمكن خلال فترة محددة أن يقرأ المشاركون جميع القصص، وفي الوقت نفسه عليهم أن يسجلوا ملاحظاتهم النقدية (إيجابيات، سلبيات، تحفظات، اقتراحات ...).
إشارة	يمكن تنفيذ هذا النشاط بصور مختلفة، حيث يمكن أن تضاف إلى هذا النشاط نشاطات أخرى، مثلاً: - أن يقوموا بتقديم القصص لقراءتها من قبل مجموعات أخرى من نظرائهم، ليناقشوهم فيها. - عرضها على كتّاب وفنانين بهدف الاستماع إلى آرائهم ومناقشتهم فيها. - عرض القصص على مؤسسات بهدف طباعتها وتوزيعها. - إعداد نسخة أخرى متينة من القصص بهدف وضعها في مكتبة المدرسة أو النادي أو المؤسسة المحلية ... .

كلمة ختامية

أرجو أن يكون هذا المقترح مفيداً، وله قيمة فعالة في تحقيق الأهداف التي يتوخاها أو بعضاً منها، ولكي تكتمل الصورة، وتتحقق الفائدة المتكاملة، فإن هذا المقترح يحتاج إلى أن يدعم بأعمال أخرى تهتم بصورة تفصيلية في مجالين؛ الأول مجال الدراما كفن والدراما كسياق، والثاني مجال أساليب الكتابة، وبخاصة القصص وأنواعها وأساليبها، إضافة إلى أمثلة متنوعة في هذين المجالين. ومع ذلك، فإن هذا المقترح بحاجة إلى آراء الذين يمكن أن يشاركوا في تطبيقه كلياً أو جزئياً، فمن خلال تجاربكم التطبيقية سيتبدى لكم الكثير من الأفكار والملاحظات والانتقادات، سنكون مسرورين جداً بتلقيها في محاولة لتطوير هذا المقترح وتعميقه.

وسيم الكردي - مركز القطان

الهوامش:

1 – سعد الله ونوس- مقابلة مجلة الكرمل/فلسطين، العدد 64.

2 – مجموعة من المؤلفين (1986) دراسات في القصة القصيرة (وقائع ندوة مكناس)، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية- بيروت.

3 – ماري إلياس، وحنان قصاب حسن (1997)، المعجم المسرحي، ط1، مكتبة لبنان- ناشرون، بيروت.

4 – (درامه: كلمة إغريقية تفيد مصدر الفعل أو العمل أو الأداء، تطلق على تأليف بالنظم أو النثر يؤدى على المسرح، قوامه الحوار والفعل، بمساعدة الإشارة والملابس ... الخ، وهي بهذا المعنى أشمل من (المسرحية) وأدق استعمالاً ومعنى. لذلك، احتفظت اللغات الأوروبية بالكلمة الإغريقية إلى جانب الكلمة التي تفيد (المسرحية)، وهذه تختلف طبعاً باختلاف اللغات الأوروبية؛ لكن كلمة (درامه) تبقى على شكلها الإغريقي في جميع اللغات الأوروبية، لأنها تعني شيئاً بعينه لا تعنيه كلمة (مسرحية). لذلك، أجد من الواجب الاحتفاظ بها في العربية على صياغتها الإغريقية، للتفريق بينها وبين (مسرحية). ولأن الكلمة تنتهي بألف قصيرة في الإغريقية أرى أن ترسم بالهاء المهملة، ليكون صوت الهاء الساكن المسبوق بالفتحة أقرب إلى الألف القصيرة في نهاية الكلمة الإغريقية. وتكون النسبة إليها (درامي، درامية). لكن كلمة (كوميديا) تنتهي بألف طويلة في الشكل الإغريقي، لذا أرى أن ترسم في العربية بألف طويلة، وتكون النسبة إليها كوميدي، كوميدية) جرياً على القياس. ص 447 موسوعة المصطلح النقدي (م3) ترجمة:د.عبد الواحد لؤلؤة/المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت. ط1 1983.

5 – إن الأنشطة المدرجة في هذا المقترح تحتمل مرونة في زمن إنجازها، وهذا يختلف إذا ما كان البرنامج مدرسياً أو في مجال آخر، وهذا متعلق بالمشرف ومجموعته المشاركة، فبعضها قد يتم تنفيذه في لقاء واحد، وبعضها يحتاج إلى أكثر من لقاء، ومن المفيد أن لا يزيد مدى اللقاء على ساعتين في اللقاءات التي تتضمن نشاطات كتابية كثيرة، وأن لا يزيد على ثلاث ساعات في الأنشطة التي تتضمن نشاطات درامية. إن هذا مرتبط بطبيعة المجموعة وعمرها، وتجربتها، وقدرتها على المواظبة، إضافة إلى إمكانات المشرف في التحضير للأنشطة والقدرة على تنفيذها.

6 – يتم استعمال تعبير «المشرف» في هذا المقترح، ليشمل المعلم والمنشط على السواء.

7 – نستعمل تعبير المشرف هنا كتعبير يشمل كلاً من معلم الصف والمشرف على الأنشطة في النادي، أو المخيم الصيفي، أو أي شخص يقوم بتطبيق هذا البرنامج مع مجموعة ما من الأطفال.

8 – الحكاية مقتبسة من قصة فولكلورية من إيرلندا و اسكوتلندا (الزوجة الفقمة- The Seal Wife) من كتاب:
A World of Folk Tales(1996)Scottish Cultural Press

9 – ورد ما يقارب هذه الصورة في حكايات مختلفة (لدى الصينيين ولدى العرب مثلاً) وقد قام المسرحي الألماني برتولد بريخت مثلاً بإعادة إنتاجها في نص مسرحي (دائرة الطباشير القوقازية)، وقد كانت تنتهي هذه القصة بصور مختلفة بناء على موقف فكري من الإنسان والوجود وعلاقته بالأصول والحياة ومتغيراتها.
Brecht, Bertold (1994) The Caucasian Chlak Circle. Arcade publishing. Ny.

10 – مقاطع من رواية غسان كنفاني (1969) عائد إلى حيفا، الطبعة الأولى- مؤسسة الدراسات العربية، بيروت.

11 – سعد الله ونوس- مقابلة مجلة الكرمل/فلسطين العدد 64.

12 – راجع «اندفاع الكلمات» إصدار مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي.

13 – لقد أشرت إلى الأفكار الخاصة بالرسومات استناداً إلى ما تعرفت عليه من خلال التعاون مع الفنان محمد عموس الذي شاركني في تطبيق هذا البرنامج مرتين.

مكتبة مركز القطان

تحتوي مكتبة مركز القطان في رام الله على مقتنيات باللغتين العربية والانكليزية في المجال التربوي، من كتب ودوريات، ووسائل تعليمية وألعاب وأقراص مرنة ومدمجة، واشتراك في قواعد بيانات.

◇ تقدم مكتبة المركز خدماتها لباحثي المركز والمجتمع التربوي في فلسطين من معلمين ومعلمات، وطلبة الدراسات العليا، وطلبة الجامعات والمعاهد العليا في فلسطين، والمهتمين بالمجال التربوي.

◇ توفر المكتبة لروادها الخدمات التالية:

1. الإرشاد والخدمة المرجعية: تقدم المكتبة للرواد خدمة الإرشاد للوصول إلى المواد والمصادر المتعلقة بالمواضيع التي يتم البحث فيها.
2. الاطلاع: تتيح المكتبة للرواد إمكانية الاطلاع الداخلي والاستفادة من محتوياتها المختلفة، بما في ذلك قواعد البيانات المتخصصة المشترك بها.
3. التصوير والطباعة: توفر المكتبة للرواد إمكانية التصوير من المراجع والمصادر المختلفة، مقابل 20 أغورة لكل صفحة.

◇ استخدام الحاسوب والانترنت مجاناً.

◇ توفر بعض المواقع الالكترونية المتخصصة بالبحث التربوي.

المكتبة مصنفة حسب نظام ديوي العشري، ويجري العمل على حوسبتها ضمن نظام خاص بذلك.
ساعات الدوام: من الثامنة صباحاً وحتى الرابعة عصراً ما عدا يومي الجمعة والأحد.

لمزيد من المعلومات: الرجاء الاتصال على هاتف رقم 2963281 2 0

أو بواسطة البريد الإلكتروني: sally@qattanfoundation.org azmi@qattanfoundation.org